

المقالات والآراء

تذكرة بأهم دلالات الأداة «إذن» وأحكامها

أ. د. مكي الحسني (*)

«إذن» حرف جواب وجزاء في الأكثر، وهو ينصب الفعل المضارع بشروط ثلاثة^(١)، ولذا يُذكر مع الأحرف الناصبة للمضارع: أن، لن، كي، إذن. وهو يدخل على الأفعال والأسماء. يقول قائل: (سأبذل لك جهدي) فتجيب: (إذن أكافئك) أو: (إذن أنا مكافئك). وتأويله غالباً: إذا كان الأمر كما جرى / ذكر ... أما معناه فالدلالة على أمرين هما: «الجواب» وهذا يلازمه دائماً في كل استعمالاته، و«الجزاء» وهذا يلازمه في الأغلب. فالمراد من دلالته على الجواب: وقوعه في كلام مترتباً على كلام قبله ترتب الجواب على السؤال: سواء أكان الكلام السابق مشتملاً على استفهام صريح أم غير مشتمل عليه، لكنه بمنزلة الملحوظ. كأن يقول صديق لصديقه «أحبك»، فيقول الآخر: «إذن أظنك صادقاً».

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) - (أ) أن يكون في صدر جملة، (ب) أن يليه (يتصل به) المضارع (ج) الذي زمنه في السياق هو المستقبل وليس الحال.

فهذه الجملة الثانية ليست ردًّا على سؤال سابق مذكور. وإنما هي بمنزلة جواب عن سؤالٍ ناشئٍ عن الجملة الأولى، تقديره: فما قولك؟ فماذا ستفعل... إلخ.

ولا يُتصور هنا الجزاء لأن الصدق لا يصلح هنا جزاءً مناسبًا للمحبة. وأيضًا فهذا الظن حاليّ الزمن، والجزاء لا يكون إلا مستقبلًا، لذا لم ينتصب المضارع أظنُّك. و«إذن» هنا للجواب وحده، لا محل له من الإعراب. أما المراد من أنه للجزاء - غالبًا - فدلالته على أن الجملة التي تحتويه تكون في الغالب مُسبِّبة عما قبلها، لذا ينصب المضارع الذي يليه.

فإذا قال شخص لآخر: «ماذا تفعل لو صادفتَ بئسًا؟» وأجابه الآخر: «إذن أبذل طاقتي في تخفيف بؤسه». فهذه الجملة جواب عن الاستفهام المذكور في سابقها، ووجود كلمة «إذن» يوحي أن الإجابة مذكورة في هذه الجملة. وتبدو هنا السببية واضحة بين التخفيف عن البئس ومصادفته، فكأنَّ المجيب يقول: إن كان الأمر كما ذكرتَ فإني أبذل طاقتي... فالشرط والجزاء واضحان!

وانتصب المضارع هنا (إذن أبذل) وكذلك في المثال الأول (إذن أكافئك) لتحقق الشروط الثلاثة المطلوبة!

«إذن» في المثاليين المذكورين حرف جواب وجزاء.

وقد وردت الأداة (إذن) في القرآن الكريم (٣١) مرة، كما وردت في شعر العرب ونثرهم.

ففي التنزيل العزيز: ﴿وَلَمَّا أَتَبَعْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إذن: حرف جواب وجزاء!

وفيه: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].
 إذن: حرف جواب. المعنى: ألهم نصيب من الملك؟ استفهام إنكاري
 (أي ليس لهم نصيب) ولو كان لهم نصيب ما آتوا الناس نقيراً لشدة بخلهم.
 الجملة بعد إذن سببها البخل وليس نصيبهم.
 ولذلك لم ينتصب المضارع (فإذن لا يؤتون) [لأن الفصل بـ (لا) بين
 إذن والمضارع كلاً فصل!]

ملاحظات:

١- قد تدخل (إذن) على جواب (لو) - ظاهرة أو مقدرة - وجواب (إن)
 الشرطيتين لتوكيده وتقويته، نحو: لو زاملتني إذن لأرضيتك. وقول الشاعر:
 فلو خلد الكرام - إذن - خلدنا ولو بقي الكرام - إذن - بقينا
 وقول الآخر:
 رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى، وليس برام؟
 فلو أنها نبأ - إذن - لا تقيتها ولكنني أرمى بغير سهام
 ونحو: إن تُصِف أخاك - إذن - تسلم. هنا دخلت (إذن) على جواب
 الشرط.

﴿وَإِن نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

٢- قد تكون (إذن) متضمنة معنى الشرط في الماضي، فيجوز إجراؤها
 مجرى (لو) في قرُن جوابها باللام، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُبَنَّكَ لَقَدْ
 كِدْتَ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
 الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].
 أي: لو ركنت شيئاً قليلاً لأذقناك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦].

قال الزمخشري: ولو أخرجوك من مكة لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم.

٣- وقد تتضمن معنى الشرط في المستقبل، فيجوز قرن جوابها بالفاء

كقول الشاعر:

ما إن أتيْتُ بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطاً إليّ يدي
إذن فعاقبني ربّي معاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالحسدِ
(إن) هنا بعد (ما) زائدة وليست شرطية، و(إذن) هنا تتضمن معنى الشرط.
المعنى: إن حصل مني - في المستقبل - شيء أنت تكرهه فلا
رفعت... فعاقبني ربي... وما بعد الفاء في المثالين جملة دُعائية! فزمنها
المستقبل.

أمثلة أخرى:

١- جاء في التنزيل العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَدِينَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ٦٦ - ٦٧].

إذن هنا جواب لسؤالٍ مقدر، كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير
والثبوت؟ قال: هو أن نُؤتيهم من لَدُنَّا أجراً عظيماً.

٢- قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

المعنى: بتقدير محذوف هو: إن فعلنا ذلك لقد قلنا قولاً ذا شطط أي

إفراط في الكفر.

٣- وقال: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ

وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿﴾ [الكهف: ٢٠].

المعنى: إن عدتم في ملتهم فلن تظفروا بخير أبدًا.

٤- وقال: ﴿﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ

بِمَا خَلَقَ ﴿﴾ [المؤمنون: ٩١].

المعنى: لو كان معه إله لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن

مخلوقات الآخر، وطلب غلبة الآخر.

٥- وقال: ﴿﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ

فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿﴾ [الشعراء: ١٩ - ٢٠].

المعنى: القائل في الآية ٢٠ هو موسى عليه السلام (بعد أن وكز القبطي

فقتله)، وقوله (إذن) صلة في الكلام، وكأنها بمعنى حينئذ، قال ذلك ابن عطية.

(هذا الكلام منقول من تفسير الإمام ابن جزي الغرناطي المتوفى ٧٤١هـ).

٦- قال الخليل يومًا: «لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه إلا بما

لا يحتاج إليه، فقد صار إذن ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه».

تأويل إذن هنا: إذا كان الأمر كما ذكر فقد صار ما لا يحتاج إليه...

- وقد جاء في معجم متن اللغة: إذن: حرف جواب وجزاء، تأويلها: إذا

كان الأمر كما جرى...

- وجاء في المعجم الكبير (الذي يصدره مجمع القاهرة)، إذن: إذين؛

حينئذ. في آرامية العهد القديم (والآرامية المصرية). كلمة للجواب

والجزاء. قال أبو علي الفارسي: ترد للجواب والجزاء في الأكثر، وقد تكون

للجواب وحده.